مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 11، عدد رقم: 04، ديسمبر2022، صص: 125- 136

تاريخ الاستلام(2022/07/10)تاريخ القبول (2022/12/08)تاريخ النشر (2022/12/30)

البعد التداولي في الخطاب الشعري المعاصر – قصيدة إرادة الحياة للشابي – أنموذجا-

The pragmatic Dimension in Contemporary Poetic Discourse – The Shabii Will of Life powem as a model

خديجة دبة[1]، مسعود صحراوي[2]

مخبر اللسانيات التداولية وتحليل الخطاب

1جامعة عمار ثليجي (الأغواط)، kh.deba@mail.lagh-univ.dz

2جامعة عمار ثليجي (الأغواط)، Hammaboutaleb56@gmail.com

ملخص:

منذ أن ظهرت التداولية ميدانا لسانيا حديثا، شهد الدرس اللغوي انتقالا تدريجيا من حيز البنوية الضيق إلى أفق الاستعمال، متجاوزا النظر في معطيات التحليل على مستوى التراكيب، والتعالق النحوي والدلالي إلى مراعاة التفاعل بين الوقائع اللغوية والسياقات التواصلية المنتجة لها، وما يُحدثه هذا التفاعل من تغيير في الوقائع النفسية والاجتماعية. وفي ظل هذا التجاوز لم يعد الخطابُ عند أغلب الدارسين مجرد جملة من الوحدات التركيبية، ولا مجرد نصٍ تحدده معطياته اللسانية والنحوية، وإنما كيانٌ يُوجَّه فيه الكلام من متكلم معين مخصوص إلى مُتلقٍ معين لأداء غرضٍ تواصلي معين . ومن هنا جاء تداخُل التداولية مع تحليل الخطاب متأثرة به ومؤثرة فيه، عبر نظريات أسهمت في إثراء مفاهيمه، في مقدمتها نظرية أفعال الكلام لصاحبها أوستين. ولأن الخطاب الأدبي والشعري خصوصا يعدُّ خطابا معبرا عن المقاصد الخفية للمتكلم، هادفا إلى التأثير في المتلقي بغية إقناعه أو حثه أو بثه رسائل محددة، وهو ما يؤهله ليكون خطابا مناسبا للتحليل التداولي. سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على مفهومين تداوليين هما الأفعال الكلامية

المؤلف المرسل: خديجة دبة، الإيميل: kh.deba@mail.lagh-univ.dz

والحجاج، من خلال قصيدة "إرادة الحياة" للشاعر أبي القاسم الشابي، لِما وجدنا فيها من بروز لقيم تداولية عديدة ولكونها خطابا تأثيريا بامتياز.

كلمات مفتاحية: التداولية ، الخطاب الشعري، المعاصر، الأفعال الكلامية ، الحجاج، أبو القاسم الشابي.

Abstract:

Since pragmatics emerged as a modern linguistic field, the linguistic lesson has witnessed a gradual transition from the narrow structural space to the horizon of use, bypassing the space of installation, grammatical and semantic connection to understanding and analyzing linguistic facts within the communicative contexts that produce them, and the change they cause in psychological and social facts. For most scholars, discourse is more than just a sentence or text as a grammatical linguistic unit; it also includes the context in which linguistic structures are produced and used, in which speech is directed from a specific speaker to a specific recipient to perform a specific communicative purpose. Thus, pragmatics interacts with discourse analysis, both influencing and being influenced by it, through theories that contributed to enriching its categories, akin to Austin's theory of locutionary acts. As a result, literary and lyrical discourse, in particular, expresses the speaker's concealed goals, seeking to affect the recipient in order to convince, urge, or deliver certain messages, qualifying him to be a good speech for pragmatic analysis. In this research paper, we will attempt to shed light on two pragmatic concepts, locutionary acts and arguing, through the poem "The Will of Life" by the poet Abi al-Qasim al-Shabbi, because we discovered the emergence of many pragmatic values in it and because it is an influential discourse par excellence.

Keywords: pragmatics; poetic discourse analysis; locutionary acts; arguing; Abu al-Qasim al-Shabi.

1مقدمة:

من النص إلى الخطاب، قطعت الدراسات اللغوية أشواطا معرفية لا بأس بها تمخضت عنها مفاهيم ونظريات أفرزت ظهور توجهات لسانية متنوعة، على غرار التداولية التي هي آخر ما توصلت إليه مراحل تطور النظريات والمفاهيم اللسانية المختلفة، أين توسّع نطاقُ النصّ الضيق ليصبح خطابا تكاملت فيه العناصر التواصلية، وتفاعلت من خلاله المعطيات اللسانية مع المعطيات غير اللسانية.

وأصبحت اللسانيات بذلك تتجاوزالنظر في معطيات التحليلعلى مستوى التراكيب، والتعالق النحوي والدلالي إلى مراعاة التفاعلبين الوقائع اللغوية والسياقات التواصلية المنتجة لها، وما يُحدثه هذا التفاعل من تغيير في الوقائع النفسية والاجتماعية.وفي ظل هذا التجاوز لميعد

الخطابُ عند أغلب الدارسين مجرد جملة من الوحدات التركيبية، ولا مجرد نصٍتحده معطياتهاللسانية والنحوية، بل أصبح كيانايشمل كذلك السياق الذي تُستعمل فيه التراكيب اللغوية، حيث يُوجَّه فيه الكلام من متكلم معين مخصوص إلى مُتلقٍ معين مخصوص لأداء غرضٍ تواصلي معين مخصوص.ومن هنا جاء تداخُل التداولية مع تحليل الخطاب متأثرة به ومؤثرة فيه، عبر نظريات أسهمت في إثراء مفاهيمه، في مقدمتها نظرية أفعال الكلام لصاحبها أوستين.

فالتداولية تهدف بالأساس من وراء دراسة النصوص والخطابات إلى اكتشاف الأبعاد التواصلية، وما تُحدثه من تغيير في الوقائع النفسية والاجتماعية،

فهل تنجحُ التداولية في مقاربتها للخطاب الأدبي، هذا الخطاب الخاص الذي ينزع إلى الذاتية، ويحتفي بالجمالية، ويقوم في أبنيته وتراكيبه على الانزياح، ولا سيما الخطاب الشعري منه الذي لا يستقيم إنتاجه إلا على مخالفة المتداول والمألوف. فهل تنجح التداولية في أن تقاربه، وتسبر أغواره، وتكشفَ أغراضه، وذلك باستظهار أفعال الكلام وما تتضمنه من قيم حجاجية كامنة فيها؟ وإلى أي حدّ يسهم المنهج التداولي في تحليل نصوصه وخطاباته؟

سنحاول في هذه الورقة البحثية تسليط الضوء على أهم مفاهيم المنهج التداولي وأدواته التي تُسهم في قراءة وتحليل الخطابات الأدبية بما يخدم غاياتها التواصلية والإبداعية، من خلال قصيدة "إرادة الحياة" للشاعر أبي القاسم الشابي، لما وجدنا فيها من بروز لقيم تداولية عديدة، مركزين على أفعال الكلام وعلى قيم الحجاج الكامنة فيها.

2.علاقة التداولية بتحليل الخطاب

1.2 تعريف التداولية:

وُلدت النزعة التداولية ونظرياتها الإنجازية والتخاطبية والحجاجية في الدراسات اللغوية سدا لثغرة أحدثها قصور المقاربة الصورية الصارمة عند بعض البنويين وبعض التوليديين عن الإحاطة بأبعاد الظاهرة اللغوية وجهاتها المتعددة [1].

تُعرّف التداولية بأنها "إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير "التداولية" من ثم، جديرة بأن تعرف بأنها "علم استعمال اللغة"، وقد يصح أن نقول في تعريفها: إنها نسقٌ معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقاتها التلفظية، أو الخطابات ضمن أحوالها التخاطبية "[2]. وقد حددها أرمينكو بأنها جزءٌمندراسةعلمٍأعم: هي دراسة التعامل اللغويّمنحيثُهيجزءٌمن التعامل الاجتماعي[3].

و"تتلخص مهام التداولية في:

دراسة "استعمال اللغة" فهي لا تدرس "البنية اللغوية" ذاتها، ولكن تدرس اللغة من حيث استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة.

شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

بيان أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر

شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية الصرف في معالجة الملفوظات" [4].

2.2 التداولية وتحليل الخطاب

"يقوم التداخل المفهومي بين التداوليةو تحليل الخطاب أساسا في دراسة ظاهرة واحدة هي الخطاب باعتباره تواصلا إنسانيا، وإن كانت التداولية قد اهتمت فيأول أبحاثها بوحدة جزئية هي الملفوظ أو الجملة في سياق التلفظ، فإن هذه الوحدة لم تكن كافية بحسب بعض الدراسات. وقد صار الاهتمام بالخطاب –ومن وجه آخر بالنص- وجها من وجوه التداولية فدخلت مفاهيمها في تحليل الخطاب واللسانيات النصية...[5]إذ إن تحليل الخطاب يستعمل المفاهيم التداولية في مقاربة جديدة للخطاب الأدبي، وقد جاء هذا الاستعمال بعد النتائج الطيبة التي حققتها التداولية بمفاهيمها المتعددة في دراسة الخطابات التواصلية أو أجناس الخطاب الأخرى كالخطاب السياسي والشرعي وغيرهما[6]. وتكون بذلك التداولية قد جاوزت بالخطاب ذلك المفهوم التقليدي له والذي يركز على الحجم الشكلي باعتباره سلسلة من الجمل أو مقابلا للنص، إلى محاولة اعتباره سيرورة تواصلية تدخل في تكوينها أخرٌ مثل المقام التواصلي والتلفظ وغيرهما من أجزاء العملية التواصلية. فتكون بذلك قد انتقلت بالخطاب من دراسة البنية التركيبية إلى دراسة كفاءته التداولية، والتي تتعلق بصلة الخطاب بالمقام التواصلي الذي أُنتج فيه، والنظر إليه على أنه تمثيل (Représentation)يتخذ فيه كل واحد من المتخاطبين موقعا اجتماعيا، مع الاهتمام بكيفيات انتقال وتداول الخطاب [7].

ولعلّ من أهم المفاهيم التداولية التي تتداخل فيها مع تحليل الخطاب، مفهوم السياق والمقام التواصلي والقصدية والفعل الكلامي والإشاريات ومبدأ التعاون ومضمرات القول والحجاج.. حيث يُعنى في تحليل الخطاب لا سيما الأدبي، بالمقام التواصلي الذي ينتج فيه مع استثمار ما سبق ذكره من مفاهيم تداولية، بما يخدم تأويل النصوص الأدبية بما فيها من انزياح وتلميح وإشارة، واستظهار أفعالها الكلامية التواصلية، وقد سبق أن ذكرنا أن من بين مهام التداولية بيان أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي، وهو ما يميز الخطاب الأدبي عموما والشعري على وجه الخصوص، الأمر الذي جعل التداولية بعد أن بدأت مشوارها باللغة والمنطق والفلسفة، تتحول إلى الأدب، ليظهر لنا اليوم ما يُعرف بالتداولية الأدبية والتي يشترك في دراستها أهل اللغة وأهل النقد.

يعتبر الخطاب الشعري من أهم الخطابات التعبيرية الغنية بالمقاصد الخفية للمتكلم، الذي يروم من ورائها التأثير في متلقيه والعمل على إقناعه بتغيير وجهة نظره أو تعديل سلوكه، وهو ما يؤهله ليكون خطابا مناسبا للدراسات التداولية[8].

3. أفعال الكلام والحجاج في البحث التداولي:

يعد مفهوما الأفعال الكلامية والحجاج في مقدمة مفاهيم البحث التداولي وهما من أهم ما يمكن الوقوف على فاعليته في التحليل التداولي للخطاب الشعري، ولأجل هذا سنسلط الضوء في تحليلنا لقصيدة الشابي على هذين المفهومين لنتأكد من مدى احتوائها على قيم تداولية.

1.3الأفعال الكلامية:

لقد ظهر مفهوم الفعل الكلامي مع نظرية الأفعال الكلامية لصاحبها أوستينJ. L Austin (توفي سنة 1960)، والتي طورها، من بعده، تلميذُه سيرل J. Searle، وذلك بإعطائها صيغتها النموذجية النهائية، وقد تعمق أوستين في إنجاز فلسفة دلالية تهتم بالمضامين والمقاصد التواصلية باعتبارها أفعالا وإنجازات، تختلف عما عرفناه عند علماء الدلالة اللغويين، وخصوصا البنويين، فقد كان "أوستين" يُلح على القيمة التداولية الإنجازية لعبارات لغوية كثيرة تستخدم في اللغة الإنجليزية، وفي كل اللغات[9].

يُراد بالفعل الكلامي "الإنجاز اللغوي" الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة، ومن أمثلته: الأمر، والنهي، والوعد، والسؤال، والتعيين، والإقالة، والتعزية، والتهنئة...فهذه كلها أفعال كلامية[10].

أصبح مفهوم الفعل الكلامي نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يُعدّ نشاطا ماديا نحويا يتوسل أفعالا قولية لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد... الخ)، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، مثلا، ومن ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا، ذا تأثير في المخاطب، اجتماعيا ومؤسساتيا، ومن ثم إنجاز شيء ما[11].

قسم أوستين الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام:

فعل القول: ويراد به إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة. ففعل القول يشتمل بالضرورة على أفعال لغوية فرعية، وهي المستويات: الصوتي والتركيبي والدلالي.

الفعل المتضمن في القول: وهو الفعل الإنجازي الحقيقي (أو القوة الإنجازية بعبارة سيرل)، إذ إنه عملٌ ينجز بقول ما، وهذا الفرع هو المقصود من النظرية برمتها.

الفعل الناتج عن القول: قد يكون المتكلم في نظر أوستين قائما بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في المشاعر والفكر، ومن أمثلة تلك الآثار: الإقناع، التضليل، الإرشاد، التثبيط... ويسميه أوستين الفعل الناتج عن القول، وسماه عبد القادر قنيني "الفعل التأثيري"[12].

2.3 الحجاج:

"لقي الحجاج (L'argumentation)اهتماما حديثا منقطع النظير، سواء باعتباره مبحثا لسانيا بحتا، أو باعتباره مبحثا منطقيا وفلسفيا وتداوليا، والحقيقة إنه كان وراء هذا الاهتمام إعادة بعث لقضايا البرهان والجدل والمحاجّة في المنطق الحديث ثم البلاغة الحديثة التي نشأت على أنقاض البلاغة القديمة. ويعدّ بعض الباحثين هذه الأبحاث التي أثارت إشكالية الحجاج في صميم اللسانيات التداولية"[13].

وأما الحجاج الذي نبحثه في هذا المستوى، فهو الحجاج في اللغة كما عبر عنه" ديكرو DUCROT" في كتابه L'argumentation dans la langue : " وحينما نقول الحجاج في اللغة فلأننا نميز بين الغاية الحجاجية Visée argumentative، والبعد الحجاجي "Dimention argumentativeوالثاني هو الذي تعنينا دراسته في هذا البحث، وهو الذي يمكّننا من الجزم بأن كل خطاب حجاج[14].

ولأن أهم مرتكزات البنية الحجاجية للخطاب هي الأفعال الكلامية فسيقع تركيزنا بشكل أكبر على الحجاج الكامن في الأفعال الإنجازية للقصيدة، معرجين على بعض الحجج الكامنة في الملفوظات الأخرى.

3.3 الأفعال الكلامية وقيمها الحجاجية في قصيدة "إرادة الحياة" للشابي:

وجب التنويه إلى أن المبحوث فيه هنا هو استخراج أفعال الكلام مع مراعاة القيم الحجاجية الكامنة في كل فعل، وذلك لأن أي فعل كلامي إنما يتضمن في قوته الإنجازية قدرا من الحجاج قليلا أو كثيرا، وفي هذا مزيد من الكشف عن الأبعاد التداولية في الشعر عموما وفي قصيدة الشابي بشكل خاص.

لا نبالغ إن قلنا إنّ كل بيت من أبيات قصيدة الشابي "إرادة الحياة" يُعدّ فعلا إنجازيا يخرج من المباشرة والحرفية إلى التضمين لأفعالٍ يطمح الشاعر من خلالها للتأثير في المتلقي ولإقناعه برسائله الثورية التحررية، مخاطبا شعبه التونسي آنذاك وكل الشعوب المضطهدة، مستنهضا إرادتهم إلى الحياة والحرية داعيا إياهم إلى بذل كل الجهد والشجاعة والأمل في تحقيق ذلك. وقد جاءت ملفوظات القصيدة متضمنة أفعالا كلامية متنوعة، متتابعة منطقيا بما يخدم الفعل الإنجازي الأكبر وهو استنهاض إرادة الشعوب لنيل الحرية والعيش في كرامة الأوطان..

وسنعرض بعض هذه الأفعال فيما سيأتي:

جاء في مطلع القصيدة:

"إذا الشعب يوما أراد الحياة ** فلا بُد أن يستجيب القدر"

الفعل الكلامي المباشر هنا هو التقرير، لكنه في الحقيقة يُبطن فعلا إنجازيا مشحونا بقوة حجاجية هو: حث الشعب على إرادة الحياة، في محاولة من الشاعر لإقناع المتلقي وتوجيهه. مستعينا بالشرط، ومؤكدا عليه باستعماله اللفظ "لابد" أن يستقيم القدر مسبوقا بأداة الحجاج المعروفة "الفاء"، والتي ربطت بين الحجة والنتيجة في تراتبية منطقية سلسة:

ن: فلا بد أن يستجيب القدر

ح: إذا الشعب يوما أراد الحياة

ويواصل الشاعر تأكيده لنتيجة إرادة الشعب في البيت الموالي عبر فعل كلامي خرج عن شكله الظاهر والذي هو التقرير أيضا إلى فعل إنجازي تضمنه القول وهو: الحث والإقناع: "ولا بد لليل أن ينجلي ** ولا بد للقيد أن ينكسر". وتكرار "لابد" زاد الملفوظ شحنة حجاجية إضافية.

ليضيف بعدها الشاعر حجة أخرى في البيت الموالي في تسلسل حجاجي تميزت به القصيدة في معظم أبياتها.

ثم نجد فعلا آخر من البوحيات في قول الشاعر:

"إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ ** لبستُ المنى وخلعت الحذر

ولم أتخوف وعور الشعاب ** ولا هبّة اللهب المستعر"

ولكن قوته الإنجازية هي الحثّ وتوجيه المتلقي إلى ارتقاء طموحه في الحياة ومناه، وعدم الحذر والخوف من ركوب الخطر في سبيل الحرية والعيش الكريم.

ثم يعطف على هذا الفعل بفعل آخر من التقريريات يحمل نفس القوة الإنجازية بما يدعم رسالته السابقة ويقوي أثرها في نفس المتلقي.

ومن لا يحب صعود الجبال ** يعِش أبد الدهر بين الحُفر"

ليعود بعدها إلى البوح الذي يعبر عن نتيجة ذلك الطموح والشجاعة ليُضفي طاقة حجاجية على الفعلين السابقين عطفا عليهما بحرف الفاء التي لعبت دورا تركيبيا ودلاليا من جهة حيث زادت من قوة ربط البيت بسابقيه معنى ومبنى، ودورا حجاجيا من جهة أخرى في ربط علاقة بين الفعل الإنجازي السابق (البوحي في ظاهره) والفعل الكلامي (الناتج) التقريري ظاهرا والذي يدعم نفس القوة الإنجازية.

"فعجّت بقلبي دماء الشباب ** وضجب بصدري رياحٌ أُخر

وأطرقتُ أصغي لعزف الرياح ** وقصف الرعود ووقع المطر"

كأنه يريد أن يقول: لما أطلقت نفسي للطموح،و خلعت عنها الحذر والخوف، أصبحت أشعر أكثر بالأرض من حولي.. في وصف منه للرياح والرعود والمطر، والتي تحمل كلها دلالات الثورة والجموح.. نمثلها في السلم الحجاجي الآتي

ن : فعجّت بقلبي دماء الشباب...

ح2: ولم أتخوف...

ح1: إذا ما طمحت إلى غاية...

ثم تأتي في الجزء الموالي سلسلة من الاستعارات ليبلغ الحجاج أسمى درجاته الإنجازية، مفتتحا هذه السلسلة بمخاطبته للأرض التي شبهها بالأم في صيغة استفهامية أصبغت على الاستعارة المصاحبة لها شحنة حجاجية إضافية:

"وقالت لي الأرضُ لما تساءلتُ يا أمّ هل تكرهين البشر؟"

ليبدأ بوح الأرضِ في جوابها له والذي يتضمن الحث على الطموح وركوب الخطر واستفزاز المتقي على أن لا يقنع بالعيش الراكد السلبي، الذي لا يتماشى مع الزمان ومتطلباته:

"أبارك في الناس أهل الطموح **ومن يستلذ ركوب الخطر

وألعن من لا يماشي الزمان ** ويقنعُ بالعيش عيش الحجر"

وكأن الأرض تقول: أبارك كل طَموح للحياة، الحياة بكرامة وألعن كل ميتٍ فيها بإرادته: خمولاً ويأسا.

ثم تأتي ثلاث استعارات أخرى متتابعة تخدم نفس الغاية التأثيرية، في قوله:

"هو الكون حيّ يُحبّ الحياة ** ويحتقر الميت المندثر

فلا الأفق يحضن ميتَ الطيور ولا النحل يلثم ميت الزهر**

ولولا أمومة قلبي الرؤوم ** لفرت عن الميت تلك الحفر !"

ثم يأتي فعل كلامي جديد ظاهره التهديد، وقوته الإنجازية التخويف والتوجيه:

"فويلٌ لمن لم تُشقه الحياةُ من لعنة العدم المنتصر"

والذي يكتسي أيضا صبغةً حجاجية مفادها أنّ من لم يشقى في الحياة مجاهدا فيها ساعيا إلى التغيير وناشدا التحرر والتطور فإنه ستحلّ عليه لا محالة لعنة العدم في انتصار للفناء عليه نتيجة خموله ورضاه بالعيش الحقير.

ن: من لعنة العدم المنتصر...

ح: فويل لمن لم تُشقه الحياة...

ثم يدخل الشاعر في حالة من التشاؤم خلفه تأثره بما حوله من القيود، والركود..

فيقول:

" وفي ليلة من ليالي الخريف ** مثقلة بالأسى والضجر

سكرت بها من ضياء النجوم ** وغنيت للنهر حتى سكر

سألت الدجى هل تعيد الحياة ** لمن أذبلته ربيع العمر؟

..."

إلى أن يقول:

"يجيء الشتاء شتاء الضباب ** شتاء الثلوج شتاء المطر

فينطفئ السحر سحر الغصون وسحر الثمار وسحر الزهر"**

فعلٌ كلامي من البوحيات قوته الأسى والتحسر، في مقابلة منه بين الشتاء والربيع، وهو كناية عن العيش في زمن الاستعباد، والعيش في زمن الحرية والاستقلال،

وقد تضمنت الأبيات السابقة مجموعة أخرى من الاستعارات ،أولها بيت يحمل فعلا استفهاميا في الظاهر لكنه يعتبر حجة اضافية تدعم الفعل البوحي المعبر عن حسرة الكاتب وتوجعه لما آل إليه الوضع في بلاده محاولا إيصال ما يشعر به إلى شعبه المقهور مستنهضا إياه خصوصا الشباب، للخروج من حالته المزرية تلك، مُسائلا فيه الدجى:

"سألت الدجى هل تعيد الحياة ** لمن أذبلته ربيع العمر؟"

.. وقد تلت هذا البيت 3 استعارات زاد بهما توهج الطاقة الحجاجية في هذه المجموعة البوحية من الأبيات..

"فلَمْ تَتَكَلَّمْ شِفَاهُ الظَّلامِ وَلَمْ تَتَرَنَّمْ عَذَارَى السَّحَر

وَقَالَ لِيَ الْغَابُ فِي رِقَّةٍ مُحَبَّبَةٍ مِثْلَ خَفْقِ الْوَتَر

يَجِيءُ الشِّتَاءُ، شِتَاءُ الضَّبَابِ شِتَاءُ الثُّلُوجِ، شِتَاءُ الْمَطَر

فَيَنْطَفِيء السِّحْرُ، سِحْرُ الغُصُونِ وَسِحْرُ الزُّهُورِ وَسِحْرُ الثَّمَر"

ولكنه مع ذلك لم يتخلّ عن أمله في عودة الربيع من جديد.. فيقول:

"ويفنى الجميع كحلم بديع ** تألّق في مهجة واندثر

وتبقى البذور التي حملت ** ذخيرة عمر جميل غبر

...

معانقة وهي تحت الثلوج ** وتحت الضباب وتحت المدر

لطيف الحياة الذي لا يُمل ** وقلب الربيع الجميل العطر

وحالمة بأغاني الطيور ** وعطر الزهور، وطعم الثمر"

ثم يبشّر قائلا:

وتَبْقَى البُذُورُ التي حُمِّلَتْ ذَخِيرَةَ عُمْرٍ جَمِيلٍ غَبَر
وَذِكْرَى فُصُول ٍ، وَرُؤْيَا حَيَاةٍ وَأَشْبَاح دُنْيَا تَلاشَتْ زُمَر
مُعَانِقَةً وَهْيَ تَحْتَ الضَّبَابِ وَتَحْتَ الثُّلُوجِ وَتَحْتَ الْمَدَر
لَطِيفَ الحَيَاةِ الذي لا يُمَلُّ وَقَلْبَ الرَّبِيعِ الشَّذِيِّ الخَضِر
وَحَالِمَةً بِأَغَانِي الطُّيُورِ وَعِطْرِ الزُّهُورِ وَطَعْمِ الثَّمَر
وَمَا هُوَ إِلاَّ كَخَفْقِ الجَنَاحِ حَتَّى نَمَا شَوْقُهَا وَانْتَصَر

سلسلةٌ أخرى من البوحيات،لكن قوتها الإنجازية هذه المرة تتمثل في بث الأمل من جديد، في مواصلة منه في إقناع المتلقي بضرورة التمسك بالأمل والحياة، والإيمان بعودة الربيع بعد شتاء قاس، وبالرغبة الجامعة في التغيير إلى الأفضل، الكامنة في النفوس والتي تحتاج إلى استنهاض وتوظيف.

حيث يُردفُ قائلا:

"فصدّعت الأرض من فوقها وأبصرت الكون عذب الصور
وجاءَ الربيعُ بأنغامه وأحلامهِ وصِباهُ العطِر
وقبلّها قبلاً في الشفاه تعيد الشباب الذي قد غبر
وقالَ لَهَا: قد مُنحتِ الحياةَ وخُلّدتِ في نسلكِ المُدّخر"

ويواصل الشاعر بوحه التفاؤلي إلى نهاية القصيدة بعد أن تخلى تماما عن مسحة التشاؤم والشدة في التوجيه، إلى تفاؤله بعودة الطموح والإرادة مؤكدا من جديد على أن نتيجتهما الحتمية هي أن يستجيب القدر أخيرا، ليكتمل حينئذ فعل الخطاب الإنجازي الكلي تاركا تأثيرا قويا في شعور المتلقي وفكره محققا بذلك غايته التواصلية المنشودة.

تكرُرُ أمثال تلك الأفعال الإنجازية السابقة في مواضع عديدة من القصيدة وتنوعها بين التشاؤم والتفاؤل، يشعر القارئ وكأنه في مناظرة جدلية تحثّ على الإقبال على الحياة والحرية والأمل، وترفض الخمول واليأس والقناعة بالذل .. !

4. خاتمة:

في الأخير، كانت هذه محاولة لتسليط الضوء على البعد التداولي في الخطاب الأدبي والشعري على وجه الخصوص من خلال قصيدة "إرادة الحياة" للشاعر الراحل أبو القاسم الشابي، والتي أكدت لنا افتراضنا المُسبق حول وجود ملامح تداولية في الخطاب الشعري، والذي يتميز أساسا بكونه خطابا موجّها يهدفُ إلى التأثير في المتلقي وإقناعه برسائل معينة، معبرا عن

المقاصد الخفية للمتكلم، موظفا رموزا وإشارات ذات دلالات محددة، خارجا في كثير من الأحيان عن التصريح إلى التلميح قصد تحقيق أهدافه التواصلية.، وهو ما يؤهله ليكون خطابا مناسبا للتحليل التداولي.وكان أكثر اهتمامنا مركزا على الأفعال الكلامية والحجاج الكامن فيها في قصيدة الشابي التي وجدناها تزخر بأفعال كلامية متنوعة، مباشرة وغير مباشرة ذات قوى إنجازية متباينة التأثير، لا سيما الحجاج.

مراجع البحث وإحالاته:

1.مسعود صحراوي، لحظة ميلاد التداولية، دار أزمنة، الأردن، 2022، ط1، ص 17

2. مسعود صحراوي، التدوالية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، 2020، ط2، ص 30.

3.يوسف نجعوم، البعد التداولي في بنية الخطاب الأدبي، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، العدد 2 جوان 2020، ص749.

4.مسعود صحراوي، نفس المرجع السابق ص 40.

5. محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ط1، ص 25.

6.يُنظر: نفسه، ص 26.

7.يُنظر: نفسه، ص 27.

8.بن يمينة فاطمة، الحجاج في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر في ضوء المنهج التداولي، مجلة فصل الخطاب، المجلد السادس، العدد24، ص 20.

9.يُنظر: مسعود صحراوي، التدوالية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، 2020، ط2، ص 15.

10.ينظر: نفس المرجع السابق، ص 16.

11.يُنظر: نفس المرجع السابق، ص 55.

12. يُنظر: نفس المرجع السابق، ص 55 – 56.

13.محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، 103.

14.مختار حسيني، مسعود صحراوي، القيم التداولية (الأفعال الكلامية والحجاج) في الخطاب الشعري، مجلة الباحث، العدد 6، ص 256.

قائمة مراجع البحث:

- ✓ حسيني مختار ، مسعود صحروي، القيم التداولية (الأفعال الكلامية والحجاج) في الخطاب الشعري، مجلة الباحث، العدد 6.
- ✓ الشابيأبو القاسم ، ديوان أبي القاسم الشابي، دار العودة، بيروت – لبنان، 1997.
- ✓ صحراوي مسعود ، التدوالية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، 2020، ط2.
- ✓ طلحةمحمود، تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2012، ط1.

✓ نجعوم يوسف، البعد التداولي في بنية الخطاب الأدبي، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة أم البواقي، العدد 2 جوان 2020.

✓ بن يمينة فاطمة، الحجاج في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر في ضوء المنهج التداولي، مجلة فصل الخطاب، المجلد السادس، العدد24 .